



وقفة اعتبار... (تقمة)

الإشارات أو الهايكو الأنصاري الصبغة الصوفية.

(6) وقفة مع الإشارات من خلال عتبات

العناوين:

كما مر بنا من قبل، العناوين عتبات اقتحام النصوص، وإذا ما تأملنا هذه العتبات نلاحظ ما يلي:

● (أ) عتبات الأحوال:

من خلال تأملها نجد ثلاث أنواع:

- عتبة الضلال: وتحتوي على ما يلي: (ضلال / ضياع / فتنة / ركون / زيادة / نقصان / توهم / العمى / موات)

- عتبة التوبة: وتحتوي على ما يلي: (حيرة / العطش / استسقاء / افتقار / استشفاء / وصفة / حيرة / رجاء / أنين / نبضة / حيرة مرآة / حزين / المحب الصادق / عراجين الصبر / المنفى / الجهاد / السجين / توبة / جناح مجهد)

- عتبة الأمل: وتحتوي على ما يلي: (سالك / سفر / التوحيد / الصلاة / ميلاد / لقاء / الشهادة / بشارة / سكينه / مصير / سلام / حقيقة)

وكل عتبات الأحوال تعكس الحقيقة الوجودية للإنسان المسافر من الضلال عبر التوبة إلى الحقيقة.

● (ب) عتبات الطبيعة:

إذا تأملنا نلاحظ أن الرحلة الوجودية عبر الطبيعة تمر بالمسار الآتي: (المساء / بارقة ليل / موت ليل / سحر / أول الخريف / رياح فوارة / عاصفة / سراب / الطيف الضائع / قطرة / الغدير / أريج / قمصان النخل / هديل النخل / زهرة اللوز / الجنان / زهرة المشمش / زهرة الحناء / زهرة الخشخاش / مر الزهر / زهرة الخرشوف البري)

وهي عتبات تعكس دورة الحياة في

الطبيعة، وهي الموات ثم الحياة والبعث من جديد.

● (ج) عتبات الأمانة:

إذا تأملنا فضاءات سفر الشاعر بالمقاييس الأرضية نلاحظ أن الرحلة مرت بما يلي: (مدينة فاس: عاصمة الدين والعلم والسياسة لعدة قرون، وهي مدينة النسب النبوي الشريف / واحة تافيلالت: أرض التخوم الصحراوية مسقط رأس الشاعر تحولت من منطقة نخاسة وتجارة إلى زاوية عبادة وعلم مع حلول النسب النبوي الشريف فيها / مدينة القصر الكبير: مدينة صامدة استعصت على المحتل البرتغالي، وهي مركز الجهاد ومقر القائد غيلان، ومدينة العلم بمدرستها البوعنانية. / المدينة الفاضلة: وهي مدينة تحيل عليها الفضاءات الأرضية، وهي مدينة الفلاسفة والحكماء والشعراء والعباد وهي فضاء معنوي)

هذه الفضاءات سواء الفضاءات الأرضية الثلاثة أم الفضاء المعنوي كلها عوالم يخلق فيها الشاعر لرمزيتها النبوية والعلمية والجهادية، وهي محطات سفرته الروحية الوجودية.

● (د) عتبات الأزمنة:

عندما نتأملها نلاحظ أن زمن الإشارات مبهم يمتد في ما يلي: (الزمن / الوقت / الفترة) وقد أبهمه الشاعر عمدا لصراف الأنظار إلى الأحوال بعيدا عن الأزمنة.

● (هـ) عتبات المفاهيم:

من خلال تأملها نلاحظ مساوقتها لمحطات رحلة الشاعر الروحية بأزمنتها المبهمة، وأمكنتها الأرضية المحددة، وأمكنتها المطلقة وهي كما يلي: (إشارة / المستحيل / مغتسل سلام / أجل / فاتحة) وبين ثنايا هذه المفاهيم تتم الرحلة العجيبة من إشارة إلى فاتحة ومن المستحيل إلى مغتسل سلام.

● (و) عتبات الأشياء:

من خلال تأملها نلاحظ أنها عبارة عن

أشياء تقتضيها الرحلة فهي: (مشهد مر / مسروقات / قصة قصيرة / رسالة / فرن / مهر) وهي من مشاهد الحياة التي تتم عبرها الرحلة نحو المطلق والكمال والجمال.

(7) نماذج من الإشارات:

● (أ) نموذج من نماذج إشارات الحال:

عنوانها: "توبة" ص 14

يقول فيها الشاعر:

في بطن الحوت أنادي واندمي

رباه أيشرق نور في ظلمي

شجر اليقطين دواؤك يا سقمي

بشرى خضراء تفتح في حلمي

هذه إشارة حال التوبة تتناص مع

القرآن الكريم الذي يقص علينا قصة نبي الله ذي النون يونس عليه السلام إذ يتوب الشاعر على طريقة ذي النون في ظلمة الحياة المحاكية لظلمة بطن الحوت بقوله: «لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين» ليكون الشفاء هو مغفرة وشفاء اليقطين و ليبرق الأمل مع بشارة الخضرة في جنة النعيم.

● (ب) نموذج من نماذج إشارات المكان:

يقول فيها الشاعر في إشارة "فاس" ص 40:

ولقد رشفت من الأذان فلم أذق

أشهى صدى من توتة البطحاء

ولقد رحلت إلى الحروف فلم أجد

أبهي سنى من أحرف البطحاء

هذه إشارة مكان الرشف عند الشاعر، وهو رشف روحي وعلمي ذلك أنه لم يذق

أشهى من عبادة بطحاء فاس، ولا أبهي من علمها.

● (ج) نموذج من نماذج إشارات الطبيعة:

يقول فيها الشاعر في إشارة "زهرة الخرشوف البري" ص: 75/74:

عرأس الأشواك يا ظبا بنفسجة الجفون

مصباحك المنير في الصباح

قد أخبر الأقاح

هذه إشارة من نماذج إشارات الزمن:

يقول الشاعر في إشارة: "الوقت" ص: 65:

من أخبر الغريد أن الفجر - حادي

الصبا - قد حان؟

فبسط الجناح لحظة

وأرسل الأبحان

هذه إشارة زمن انطلاق الحياة مع

الفجر، وفيها يستحضر الشاعر قدرة الخالق سبحانه على تلقين الطائر الغريد كيف يرسل الحسانه ويبسط جناحه مع حلول

الفجر. ويعجب الشاعر من طائر يسبح بحمد ربه مع حلول الفجر ولا يسبح

الإنسان.

● (و) نموذج من نماذج إشارات المفهوم:

يقول الشاعر في إشارة: "مغتسل السلام" ص: 65:

أه أيا سيدي سئمت من أدوية الرغام

فأجر لي يا ذنك الكريم واردة

من بحرك الفرات

البارد السلام

أسقي به من كل غصن في خيولتي

موطن السقام

هذه إشارة مفهوم من خلالها يعبر

الشاعر عن سأمته من أدوية الرغام ويسأل

مولاه وردا من بحره الفرات البارد السلام

يشفي سقامه وهو الفرار من الرغام إلى

النورانية.

وبعد، فهذه خواطر حضرتني خلال وقفة

اعتبار، وأنا أتصفح ديوان الإشارات

للمشتمول بعفو الله الكريم الشاعر فريد

الأنصاري، وما خواطري إلا ظلال لا تغني

عن دوح الإشارات لمن أراد أن يجني ثمارها

ويستغني عن وصف الظلال من ناهل لعله

أخطأ الورد بين إشارات شاعر أوتي الحكمة

والخير الكثير تغمده الله بواسع رحمته،

وجميل عفوه، وأسكنه الفردوس، وسقاه من

الحوض باليد الشريفة، ولم يجرمنا أجره،

ولم يفتنا بعده.

ويبقى أخيرا أن أشير على أهل الإيمان

السفر مع الشاعر على متن إشارات في

رحلة إيمانية ممتعة، والله من وراء

القصود.

بشقيه النظري والتطبيقي، وأبان عن

تنوع سليم مشفوع بأدوات علمية تقف

وراءهما تجربة شعرية فذة، تمزج بين رقة

الشاعر ونباهة الفقيه.

هذا غيض من فيض هذه الشخصية

المهوبة في جانب من جوانب اهتماماتها

العلمية، وهو مجال الأدب والنقد. ولا شك

أن القارئ سيظن أن الفقيه رجل أدب

بامتياز، علما بأن هامته في العلوم

الإسلامية باخنة.

وأختم هذه العبارات بالقول في حق

فقيدنا رحمه الله تعالى ما قاله فضيلة

العلامة الدكتور يوسف الفرضاوي حفظه

الله وسلمه في حق العلامة الإمام شيخ

الإسلام ابن قيم الجوزية رحمه الله

تعالى: "ملك قلم الأديب البليغ المتدقق،

وروح الداعية المرابي المحلق، ووجدان

الرباني العارف المتذوق، ونظر الأصولي

المتعمق، وتجريد الموحد الصادق المحقق،

وهو حين يطلق لقلمه العنان يتدفق تدفق

السييل الهادر، ويموج موج البحر الزاخر،

ويورد الأوجه، ويوضح الأسباب ويبين

الأحكام ويشرح الحقائق". (التوبة إلى

الله، ص: 10)

رحم الله أاخانا فريدا الأنصاري فقد

كان فريد عصره ونسيج وحده، وجزاه

خير الجزاء كفاء ما أسدى للأمة الإسلامية

من جهاد علمي ودعوي، وجعل ذلك في

ميزان حسناته، وأسكنه فسيح جنانه مع

الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا،

وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.. آمين،

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

وظف الشاعر كل الأدوات الكونية الثائرة

لإبرازها بالإضافة إلى الأدوات الفنية من

تضمن وغيره تتوغل بنا في أغوار نفس

صاحبنا حتى إذا ظننا أننا وصلنا إلى

قرارها وجدنا الباب يفتح بكل قوة عن

هموم الوطن، فإذا بنا نخرج إلى الموضوع

الخارجي من حيث ظننا أننا نبتعد عنه،

بيد أن هذا تقسيم فاسد، ذلك أن أول قطرة

في كأس الذات كانت محملة بعناء الهم

الخارجي ("المشكاة" العدد: 40

ص: 81/80)

وبعد ذلك انطلق نحو قاموس الألفاظ

والصور الفنية التي وظفها الشاعر

ليتذوقها ويحكم عليها، فأعلن في تصدير

كلامه عنها أن جمالية اللفظ عنصر مهم

لجمالية الصورة، وبين أن الشاعر الرباوي

ينتقي ألفاظه وصوره انتقاء تلقائيا لا

تكلف فيه ولا تصنع، وأنه يتمتع من

الطبيعة ويستترفد من ثروتها الجمالية.

وعلى سبب وقوع قصائد الشاعر تحت

جاذبية بحر الخبب، والمتقارب، وعزا ذلك

إلى كون الخبب هو البحر الأقدس على

استيعاب الأمواج والفيوضات الشعرية

الهائلة. كما أنه بثقافته الواسعة ورصيده

المعرفي المتميز استطاع أن يحدد

التضمينات الحضارية والثقافية في

نصوص الشعر الذي يدرسه، ويردها إلى

مصادرها. ويوضح الدلالات ذات الأبعاد

التراثية والقرآنية التي يأخذها الشاعر

مادة لبناء عمارة إسلامية جديدة ذات

إشراقات جديدة مرتبطة به وبمجتمعه.

إن الأستاذ فريد الأنصاري الناقد رحمة

الله عليه عبر عن احترافية كبيرة للنقد

... أدبيا وناقداً (تقمة)

الناقد فريد الأنصاري ذلك كله مقدمة لتعليل سبب صدور قصائد الرباوي مدورة في أغلب الأحوال. ويدلي برأيه الخاص رحمه الله في مسألة التدوير هاته مرجعا إليها لطبيعة القصيدة "الذاتية" عند الشاعر وهي تعود أساسا إلى كون القصيدة المدورة هي نتيجة احتراق حاد. فالشاعر الذي يبلغ درجة من التوتر أكثر التهابا، وأشد اشتعالا لن يمكنه إلا أن يستجيب للتدوير.

وبين كذلك في هذا المقال أن الشعر بعد

خمود الاشتعال هو أقرب إلى النثر لا سواء

مهما بلغ من التصنيع والتبديع، واعتبر

كذلك مسألة الذاتية والموضوعية لغوا غير

مجد مادام الشاعر قد حسمها منذ اتخاذ

المذهبية الإسلامية أساس تصوره للكون

والحياة، إذ بذلك تنتفي حواجز (الأنثى)

(والنحز) والانت على مستوى قضايا

الإنسان كل الإنسان من حيث الأخوة

الإنسانية الكبرى التي ترجع بالناس إلى

أصل واحد، وعلى مستوى قضايا الأمة

وهموم المواطنة الإسلامية من حيث

الأخوة الإسلامية، ولا تقاطع عنده بين هذه

وتلك، إلا إذا أسئ الفهم، وأخرقت حدود

إحداهما.

ثم التفت إلى الصورة الشعرية وشرع

في تشخيصها بنظرة الناقد الحصيف

الذي يجمع الجزئيات بغية الإمساك

بالكليات، استمع إليه يعلق على إحدى

صور الشاعر في ذلك الديوان قائلا: "

فالصورة الشعرية للعاصفة النفسية التي